

عبد المنعم المحجوب: اللغة العربية امتداد للسومرية

الآرامية والعبرانية والمصرية والعربية وغيرها من الأفروآسيويات هي لسان واحد



السومريون أجداد لغويون

من أشار إلى ذلك هو الخليل بن أحمد الفراهيدي في مقدمة كتاب العين، ولكنه تجاوز البناء المقطعي إلى الاعتماد على الجذور اللغوية والبناء عليها، وعلى ذلك استقر البحث اللغوي بعده. العرب يتحدثون السومرية دون أن يعوا ذلك، ساعطيك هذا المثال: عندما أقول 'كتب' ثلاثة مقاطع جذرية (ك أي كلام، وت وهي أداة استعانة، وب أي رقيم). يقول ضيفنا "عندما درست لغة التيو اللبينية وجدتها تبني على هذه المقاطع السومرية التي تؤلف كلماتهم وتصنع لغتهم، والتبوية الآن مصنفة ضمن المنظومة اللبينية الصحراوية، ولكنني شككت في ذلك في 'كتاب التيو' الذي أصدره مركز الدراسات التوبوية منذ عدة سنوات. إن هذا الاكتشاف لا يرضي الكثيرين لأنه يهدم الأسس التي تعلموها ووضعوا عليها معرفتهم باللغات وتصنيفها، ولكنني ذهبت إلى أبعد من ذلك، فهذا الأمر ينعكس على السنسكريتية والمنظومة اللغات الهندوأوروبية وفقاً للمهمة التي عملت به، وهو قراءة اللغات في هذين المسارين العظيمين (أعني الأفروآسيوي والهندوأوروبي) بالاعتماد على المقاطع الجذرية السومرية كما أبحثها في كتاب 'ما قبل اللغة'. لقد كتبت للمستقبل، وأعرف أن هذه النظرية المثيرة للجدل في هذا الوقت سوف تصبح قاعدة علمية يوماً ما."

السومري" إلى أن العربية، والآرامية، والعبرانية، والمصرية، وغيرها من الأفروآسيويات هي لسان واحد، لا بالعودة إلى الأكدية فحسب، بل باستظهار ما فيها من "دي.أن.أي" سومري. إن هذه التسميات هي أشكال متعددة لكيان واحد عمره خمسة آلاف سنة. شعوب الشرق الأدنى القديم، أمه وقبائله التي تفرقت ونشأت بعضها عن بعضها، تكلمت السومرية عن طريق مقاطعها الجذرية، كل بما اشفق منها وبما انتهى إليه، وبمرور الوقت تطورت الدلالات، وتضخمت معاجم الكلام ونخائره، واختلقت أساليب التلطف متأثرة ببيئاتها الطبيعية والاجتماعية، حتى أصبحت الأساليب السنّة مختلفة، بالعودة إلى المقاطع الجذرية يمكن أن تكشف عن هذه الوحدة العميقة لهذه اللسان. ويتابع المحجوب "أنا العربي مثلاً عندما أقول كلمة واحدة أكون قد جمعت مقطعين سومريين أو ثلاثاً، لأصنع هذه الكلمة، وبعبارة أخرى، هناك بنية مقطعية مجهولة في الكلام العربي الذي لا يُعرف إلا ببنائه الجذري، وكان أول

هذه النهاية تجيب في الوقت نفسه عن أسئلة أخرى تتعلق بتاريخنا القديم. ويشير عبد المنعم المحجوب إلى أن السومريين هم بنو كنعان، اسم سومر في لهجة إيميسيل العامة، هو كنعان والصامت الأخير يسقط عادة في التسميات السومرية، فهي كنعان، لأن حرف العين مضمّر أو مغيب في نغمة الكتابة المسماة، كنعان هذه هي كنعان، والكنعانيون هم السومريون، هذا يكشف أصول الفينيقيين التي تنقل بها الباحثون من مكان إلى آخر، من اليمن إلى البحرين إلى أماكن أخرى في الجزيرة العربية إلى غير ذلك. بنو كنعان جاؤوا من العراق ولم يتواها على المتوسط وتوطنوا الشرقية، ثم استفادوا من تراثهم الملاحي وغزوا البحر المتوسط وتوطنوا شمال أفريقيا وأسسوا المدن اللبينية في ليبيا كما في نص رحلة الملك حنون، وارتادوا الأطلسي وطاقوا حول رأس الرجاء الصالح. وتوصل المحجوب في كتابه "ما قبل اللغة" و"أصوات بابل" و"المعجم

لجاءوا إلى طرقهم المعتادة في دراسة الهندوأورويات والأفروآسيويات، ثم لأن بنية السومرية النحوية مختلفة تماماً عن السامية الأم والهندوأوروية الأم وهما لغتان مفترقتان استقرتا لديهم في مجموعة من القواعد العامة، فقد حكما بأن السومرية نبتت في بلاد ما بين النهرين، ثم اندثرت هكذا دون أن تتصل بما جاورها من السنة ولغات". ترك المحجوب مناهج القراءة وأصول البحث جانباً، وابتكر منهجاً جديداً يتلخص في البحث عن توطن المقاطع السومرية في اللغات الأفروآسيوية، وكانت البداية باللغة العربية حيث لم يكتب بالبحث عن المتشابهات، وهي كثيرة جداً بين اللغتين، بل عمد إلى قراءة المفردات العربية، وبعد ذلك المصرية القديمة، والأكدية والعبرية والآرامية وغيرها، برّد جنورها إلى مكوناتها المقطعية، وخلص إلى أن المقاطع السومرية المفردة والمثناة مقاطع جذرية مستقرة في جميع لغات الشرق الأدنى القديم، مثل "دي. أن. أي" في الكيانات العضوية. هذه المقاربات جعلته يشك في التاريخ القديم، إذا نحن لم نفهم طبيعة اللغة من داخلها، في عمقها، فكيف نجيب عن الأسئلة التي تتعلق بمصائر الناطقين بها. لم يقل الرواد الأوائل شيئاً ذا بال عن نهاية السومريين، وهذا امتداد لعدم معرفتهم بنهاية السومرية،

على مر التاريخ تأثرت اللغات ببعضها بعضاً، وأثرت ببعضها، هناك لغات ولدت من لغات أخرى، ولكن الباحث الليبي عبد المنعم المحجوب يقسم كل اللغات إلى فرعين: الأفروآسيوي والهندوأوروبي، ويعيد إلى السومرية الفضل في خلق الكثير من اللغات منها اللغة العربية التي تحتفل بيومها العالمي يوم 18 ديسمبر الجاري. "العرب" التقت الباحث في هذا الحوار.

ويرى صاحب كتاب "معجم تانيت" أن الكتابة التاريخية حول الأدب نوع من التاريخ في حالة واحدة إذا اتسع مفهوم التاريخ ليشمل النوازل والرغبات، ومقاصد الأحداث، ويضيف "ولكن هذا مجرد نواظر، إنه في الحقيقة أمنية. نحن لا نعثر على التاريخ بالمعنى الدقيق للمفهوم في الكتابات التاريخية القديمة حتى وهي تدعي أنها تكتفي بالتاريخ للوقائع والأحداث، في مقابل ذلك هل نقبل أن تكون الكتابة التاريخية عن الأدب كذلك، وهي لا تدعي التاريخ، لا اعتد. تحتاج إلى تناول مركب لكي تكتشف ذلك، لأن تاريخيتها مختلفة، إنها غير التاريخ الذي يتبادر إلى الأذهان عندما نقول هذه الكلمة، هناك تاريخ خاص يتكون منذ القدم بجوار التاريخ العام، وقد حدث هذا دائماً في جميع الحضارات القديمة".

في كتابه "بيان ضد الكهنوت الإسلامي" استطاع توضيح وجهة نظره القائمة على أنه يجب النظر إلى الإسلام من منظور نقدي دون الوصول إلى مسألة إطلاق الأحكام المطلقة. مشيراً إلى أن هذا الجانب هو الأكثر وضوحاً في "البيان"، فالأحكام المطلقة هي الخطيئة الأصلية التي تراقف الإنسان، ولن يتخلص منها أبداً، ولكنه يلجأ إلى التطهر منها كلما فكر في أميته وأراد أن يكون كاملاً.

خلود الفلاح
كاتبة ليبية

ينطلق عبد المنعم المحجوب في أعماله من البحث في تاريخ الحضارات الليبية القديمة، ويلفت إلى أنه يهتم بتاريخ الحضارات القديمة بشكل عام. وفي ما يتعلق بضاف البحر المتوسط، شمالاً وشرقاً وجنوباً، فإن ليبيا نقطة بدء رئيسية وهي تكتظ بالآلهة وأنصاف الآلهة والشعوب والأحداث، هي ليست ليبيا التي نعرفها الآن بحدودها، ففي يوم من الأيام كانت قارة بأسرها أخذت في ما بعد اسم أفريقيا، ثم كانت إقليمياً شاسعاً يمتد من غرب النيل إلى المحيط الأطلسي.

عبد المنعم المحجوب
يجب أن نفهم طبيعة اللغة من داخلها لنعرف مصائر الناطقين بها

هذه هي ليبيا التي يعينها، مستطرداً "مما أقوم به من متابعة وتدقيق، استطاع القول إننا لا نعرف سوى القليل عن تاريخ الحضارات في ليبيا، 70 في المئة من تاريخنا القديم ما زال مجهولاً، ولا يصبح المشهد العام واضحاً إلا إذا بدأنا الحديث عن الفينيقيين. قبل ذلك نحن أمام بعض الأساطير المصرية المدونة، وأمام شواهد غائبة ما زالت تحت التراب، الجرميت، التبو، الأمازيغ، الغوانش، الطوارق، والأقوام التي عاشت في المدن الصحراوية المفقودة التي ذكرها بالبوس في حملته، وأسميه بالبوس الأول، لأن بالبوس الثاني جاء مع الطليان".

بحوث تاريخية

بحسب المحجوب، ليبيا جغرافياً مرتنة، حدودها ليست ثابتة أبداً، ربما شمالها المطل على البحر فحسب، أما فضاءاتها البرية فهي متداخلة ومتحركة، لا أحد يمكنه الحديث علمياً عما قبل آلاف الأولى قبل الميلاد، وتاويل النصوص المصرية القديمة لاكتشاف مسارات الحراك الاجتماعي واللغوي والديموغرافي الكبير الذي عرفته هذه البلاد يفتتح على تأويلات متناقضة، وليس لدينا سوى شواهد أركيولوجية قليلة مبعثرة هنا وهناك، لتوضيح ذلك سيشر كتابنا مع مطلع السنة القادمة عنوانه "علم الدراسات اللبينية (البيولوجيا)"، وقد استغرق إعداده ثلاث سنوات.

موزة تتحول إلى فكرة تدين التوحش

البنوك، لا يحصل أصحابها على أية أرباح منها، بل أحياناً يضطرون لدفع أموال لقاء وضعها في تلك البنوك. عندما كان هناك في العالم مليونير واحد "مليونير وليس ملياردير" يتردد اسمه في وسائل الإعلام، هو إمبراطور السفن أوناسيس، كان الفنانون يشقون لتأمين خبزهم كفاف يومهم. بحسابات اليوم، المليونير فقير لا يستطيع شراء شقة متواضعة وسط نيويورك أو لندن. العالم اليوم يعج بالآثرياء أصحاب المليارات، يتكاثرون كالقنطريون، وقريباً قد يصبح الملياردير فقيراً، ليحل مكانه التريلونيير (نسبة إلى التريلون وهو ألف مليار). عندها فقط قد يخرج سارق مرضاح الفنان الإيطالي كاتيلان إلى العلن، ويعرضه للبيع بـ60 مليار دولار بدلاً من 6 ملايين دولار، وهو سعره اليوم.

هل هناك من عمل فضح الرأسمالية الموحشة أكثر من "موزة" كاتيلان. ألا يستحق العمل، بعد ذلك، أن يوصف بعمل فني بامتياز؟

الأمر كله لا يعود لعبة تسويق. وهو أيضاً كذلك بالنسبة إلى الشاري. الجميع خرج رابحاً. معظم من شاهد العمل، سيخرج من الصالة محاولاً إخفاء أي تعبير يفضح مشاعره. البعض منهم لا يريد أن يتهم بالفحاشة والسذاجة، والبعض الآخر لا يريد أن يتهم بالجهل. إذن لماذا القول إن "موزة" عمل فني بامتياز. قدم الفنان إدانة قوية للرأسمالية الموحشة، بوعي منه أو دون وعي. في الوقت الذي لا يجد فيه ملايين من الفقراء نصف دولار ثمناً لثمرة موز يقاتون بها، هناك من يدفع 120 ألف دولار ليشاهدها تتعفن أمام عينيه. المعتدي الذي قام بالتهام العمل، وعنون ما قام به بـ"هانغري آر تيست"، يستحق هو الآخر أن يقض ثمن فعلته. أو على الأقل أن يتقاسم مع الفنان مبلغ الـ120 ألف دولار.

لبست الغاية أن نغرق في تحليل أخلاقي، ولكن العارفين بأزمة الاقتصاد الليبرالي وأزمة العولمة، يدركون ماذا يعني وجود أموال ضخمة مكدسة في

بالطبع ستتعهد القراءات بعدد أفراد الجمهور الذي زار الصالة وتوقف أمام العمل، أيضاً ستثار تلك الآراء بمشهد الاعتداء على العمل والتهامة. بالنسبة إلى أصحاب الصالة ومديرها،



عمل فني بامتياز

قال مدير الصالة، كات راتحة ورسمت البسمة لدى كثير من الناس. الـ"موزة" عمل مفاهيمي، يريد صاحبه تقديم فكرة، محتواها متروك للمشاهد.

أن ينسحب من الصالة أضاف "شكراً، إنها لذينة". رغم ذلك، لم يخسر أي من الأطراف شيئاً، كما أكد مدير العلاقات، لوسيان تيراس، في صالة "تيمانويل بيروتان" التي باعت موزة المعتدي لم يدمر العمل، الـ"موزة" مجرد فكرة.

في شهادة الأصالة، التي تراقف الأعمال الفنية المبيعة عادة، ذكر أن الموزة ينبغي أن تجدد بانتظام، حتى لا تتعفن. وقد علقت موزة جديدة على الجدار بعد ربع ساعة من التهام الأولى. الفنان الإيطالي، ماوريتسيو كاتيلان، صاحب العمل ليس فناناً نكرة بل هو معروف في الولايات المتحدة بعمل شهير آخر هو مرضاح مصنوع من الذهب عيار 18 قيراط. وكان هذا العمل، الذي قدر سعره بستة ملايين دولار، قد اختفى منذ أن سرق في سبتمبر من قصر "بليينيم" في جنوب إنكلترا. التهام الموزة أثار الكثير من التوتّر ولفت الانتباه، لكن ردود الفعل، كما

علي قاسم
كاتب سوري مقيم في تونس

إن كانت وظيفة الفن إيصال رسالة اجتماعية، فإن "موزة" علقت على جدار صالة عرض بشرط لاصق، وأثارت الكثير من السخرية والنكات، هي عمل فني بامتياز.. لماذا؟ عرضت الـ"موزة"، وهي ثمرة طبيعية من اختيار الإيطالي ماوريتسيو كاتيلان، في معرض "أرت بابل" للفن المعاصر في ميامي بيتش بالولايات المتحدة. وعنون العمل بكلمة واحدة هي "كوميديان". أما الثمن فهو 120 ألف دولار. ووجد من يدفع الثمن. دفع جامع أعمال فنية فرنسي الفن المطلوب، لينتهي العمل في جوف فنان أميركي، قام بنزع الموزة عن الجدار الأبيض، والتهامها وسط دهشة حشد من زوار المعرض، فأثارت لهم إن ما قام به ليس اعتداء على عمل فني، بل هو عمل فني آخر، عنوانه "هانغري آر تيست" (فنان جائع)، وقبل